المنهج القرآني في علاج ظاهرة التكفير

د. صالحة بنت الشريف حسين محمد الهجاري

أستاذ مساعد في جامعة الملك عبد العزيز بجدة

تخصص التفسير وعلوم القرآن

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لاإله إلاالله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.. أما بعد :

فإن المتأمل لكتاب الله سبحانه وتعالى، يجد فيه ما يدله على الخير ويدعوه إليه، ويحذره من الشر وينهاه عنه، وباتباعه تستقيم الأمة ويرتفع شأنها، دعا الله تعالى إلى تدبره، والعمل به والسير على نهجه، وما ظهر الاختلاف والفرقة إلا بالبعد عنه، وعدم الاحتكام إليه، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ سورة النساء: ٨٣

ومن هذا الاختلاف ظهور التكفير في الأمة، وهي ظاهرة بدأت بخروج الخوارج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، إثر تحكيم الحكمين في موقعة صفين، فأنكروا عليه وكفروه، وكفروا الحكمين ومن رضي بالتحكيم[1]، ثم انتقلت إلى الفرق المبتدعة في الدين التي خرجت عن الكتاب والسنة، والتي تظن أنها على الحق، وأن غيرها على الباطل، وتغرس ذلك في أتباعها، وتنميه لديهم.

وما زالت الأمة تعاني من داء التكفير وانتشاره بين أوساط معينة منهم، وخاصة فئة الشباب الذين لم يكملوا تعليمهم، فأصبحوا عرضة لأهل البدع والأهواء، يبثون فيهم سمومهم من التكفير والخروج على العلماء والحكام،

(١) انظر: الفتاوى١٣/٢٠٨.

فالجهل بالدين وبنصوص الكتاب والسنة، التي حذرت من الكفر، ورمي الآخرين به، من أسباب انتشار هذه الظاهرة، وهي– بحمد الله – ليست شيئاً متأصلاً في كثير من النفوس المتبعة لهؤلاء المبتدعة، بل لا تعدوا كونها ظاهرة ثم تختفي بفضل الله أولاً، ثم بفضل جهود العلماء والحكام الذين يوضحون الدين للمغترين، ويرجعونهم بفضل الله إلى جادة الصواب.

وهذا البحث بيان العلاج القرآني لهذه الظاهرة، وعرض لنصوص الكتاب الكريم التي تدعو إلى الوحدة والترابط، وعدم تكفير الآخرين وسوء الظن بهم، لعل الله أن ينفع به مع غيره من الجهود المبذولة في هذا المؤتمر، في إيضاح الحق ودفع الفتنة عن الأمة، وقد جاء هذا البحث بعنوان: " المنهج القرآني في علاج ظاهرة التكفير ".

خطة البحث:

اشتمل هذا البحث على: مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة.

- المقدمة: وفيها أهمية الموضوع.
- التمهيد: في تعريف التكفير وبيان خطورته.
- المبحث الأول: التثبت وعدم التشكيك في إسلام الآخرين، وفيه ثلاثة مطالب:
  - المطلب الأول: التثبت قبل إطلاق الأحكام على الآخرين.
  - المطلب الثاني: عدم التشكيك في إسلام الآخرين.
  - المطلب الثالث: النهي عن إرادة الدنيا وترك الآخرة.
- المبحث الثاني: الوصف بالإيمان، والتأكيد على الأخوة الإيمانية، وفيه ثلاثة مطالب:
  - المطلب الأول: وصف الطوائف المتحاربة بالإيمان.
  - المطلب الثاني: الأمر بالإصلاح بين المتنازعين.

- المطلب الثالث: التأكيد على الأخوة الإيمانية بينهم.

- المبحث الثالث: النهي عن الغلو والقول على الله بغير علم، وفيه مطلبان:
  - المطلب الأول: النهي عن الغلو والتشدد في الدين.
  - المطلب الثاني: النهي عن القول على الله بغير علم.
- المبحث الرابع: الدعوة إلى طلب العلم الصحيح، وحسن التعامل مع الآخرين، وفيه ثلاثة مطالب:
  - المطلب الأول: الدعوة إلى طلب العلم الصحيح.
  - المطلب الثاني: اللين والرفق في الخطاب مع الآخرين.
  - المطلب الثالث: أسلوب الحوار والإقناع بالحجة.
- المبحث الخامس: الأمر بالاعتصام بالله، وطاعة أولي الأمر، وفيه مطلبان:
  - المطلب الأول: الأمر بالاعتصام بالله وعدم التفرق.
  - المطلب الثاني: الأمر بطاعة أولي الأمر.
- الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث.

وأخيراً فهذا جهد المقل، فما كان فيه من صواب فمن الله، وما كان فيه من خطأ ومن تقصير فمن نفسي، والله أسأل أن يتقبله مني، وأن يجزي خير الجزاء من قام على هذا المؤتمر، أو شارك فيه بأي جهد أو عمل، ويجعل ذلك في موازين حسناتهم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وآله وصحبه أجمعين.

التمهيد

المراد بالتكفير وبيان خطورته

حقيقة الكفر والتكفير عند علماء السلف:

الكفر لغة: مصدر قولهم: كَفَرَ يَكْفُرُ كُفْراً، وكُفُوراً، وكُفْرَاناً، ويقال لأهل دار الحرب قد كفروا أي: عصوا وامتنعوا[1]، والكفر في اللغة: ستر الشيء، ووصف الليل بالكافر لستره الأشخاص، والزارع لستره البذور في الأرض، وليس ذلك باسم له كما قال بعض أهل اللغة[2]، وكفر الرجل كفراً وكفراناً: لم يؤمن بالوحدانية، أوالنبوة، أوالشريعة، أوبثلاثتها[3]، والكفر: نقيض الإيمان، آمنا بالله وكفرنا بالطاغوت[4]، والكفر أيضاً: جحود النعمة وهو ضد الشكر[5].

اصطلاحاً: قال ابن تيمية: الكفر عدم الإيمان بالله ورسله، سواء كان معه تكذيب أولم يكن معه تكذيب، بل شك وريب، أو إعراض عن هذا كله حسداً أو كبراً، أو اتباعاً لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة[6].

وقال ابن حزم: وهو في الدين صفة من جحد شيئاً مما افترض الله تعالى الإيمان به بعد قيام الحجة عليه، ببلوغ الحق إليه، بقلبه دون لسانه، أو بلسانه دون قلبه، أو بهما معاً، أو عمل عملاً جاء النص بأنه مخرج له بذلك عن اسم

(١) الصحاح للجوهري ٨٠٧/٢ – ٨٠٨، لسان العرب ١٤٤/٥.
(٢) مفردات الراغب٤٣٣.
(٣) المرجع السابق، المعجم الوسيط ٧٩١/٢.
(٤) لسان العرب١٤٤/٥.
(٥) مختار الصحاح ٥٧٣، المصباح المنير٧٣٤/٢.
(٦) مجموع الفتاوى٣٣٥/١٢، وانظر: ٣١٥/٣، ٨٦/٢٠.

الإيمان[1].

ويعرفه السعدي قائلاً: وحد الكفر الجامع لجميع أجناسه، وأنواعه، وأفراده هو جحد ما جاء به الرسول، أو جحد بعضه، كما أن الإيمان اعتقاده ما جاء به الرسول والتزامه جملة وتفصيلاً، فالإيمان والكفر ضدان متى ثبت أحدهما ثبوتاً كاملاً، انتفى الآخر[2].

تعريف التكفير:

التكفير: هو وصف الشخص بالكفر، وقيل: التكفير نسبة أحد من أهل القبلة إلى الكفر[3].

خطورة التكفير:

إن التكفير خطره عظيم، فلا يجوز لمسلم أن يتسرع بالتكفير دون بينة وبرهان، ولعظم شأن الغلو في التكفير جاءت النصوص محذرة من المجازفة فيه، فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: " أَيُّمَا رَجُلٍ قال لاخِيهِ: يا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بها أَحَدُهُمَا"[4].

والتكفير استباحة لما حرمه الله من عرض المسلم الذي أكد النبي ﷺ على حرمته، في خطبته في حجة الوداع فقال: "فإن دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هذا في شَهْرِكُمْ هذا في بَلَدِكُمْ هذا، إلى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، ألا هل بَلَّغْتُ؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى من سَامِعٍ، فلا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ

(١) الإحكام في أصول الأحكام١/٤٥.

(٢) الإرشاد إلى معرفة الأحكام٢٠٣-٢٠٤.

(٣) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، أ.د.محمد عبدالغفار الشريف، وانظر الفتوى رقم (٨٣٥).

(٤) صحيح البخاري. كِتَاب الادَب، باب إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما برقم (٥٧٥٣) (٥/٢٢٦٤).

بَعْضٍ"[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولهذا يجب الاحتراز من تكفير المسلمين بالذنوب والخطايا، فإنه أول بدعة ظهرت في الإسلام، فكفر أهلها المسلمين، واستحلوا دماءهم وأموالهم"[2].

ويقول ابن دقيق العيد: "وهذا وعيد عظيم لمن أكفر أحداً من المسلمين وليس كذلك، وهي ورطة عظيمة وقع فيها خلق كثير من المتكلمين، ومن المنسوبين إلى السنة، وأهل الحديث، لما اختلفوا في العقائد، فغلظوا على مخالفيهم وحكموا بكفرهم"[3].

ولغلظ أمر التكفير وشدة خطورته كان أصحاب النبيﷺ يمتنعون عن إطلاق التكفير والتفسيق على أهل القبلة، روى ابن عبد البر عن أبي سفيان قال: "قلت لجابر: أكنتم تقولون لأحد من أهل القبلة: كافر؟، قال: لا، قلت: فمشرك؟، قال: معاذ الله، وفزع"[4]، ولما سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن أهل النهروان: أمشركون هم؟، قال: لا، من الشرك فروا، فقيل: أمنافقون؟، قال: لا، لأن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، قيل: له فما حالهم؟ قال: إخواننا بغوا علينا"[5].

ثم إن تكفير المسلم ليست مجرد عبارة تلقى بحماسة وجهل، وينتهي الأمر بإطلاقها، بل إن لهذه الكلمة لوازم خطيرة، لا يعقلها السفهاء، فإن الرجل إذا قال لأخيه المسلم: «أنت كافر»، فمعنى هذا أن المحكوم عليه مرتد عن الإسلام، قد حبط عمله، فلا يقبل منه صرف ولاعدل، فصلاته وصيامه

(١) صحيح البخاري. كِتَاب الْحَجِّ، باب يخطب بعرفات، برقم (١٦٥٤) (٢/٦٢٠).
(٢) مجموع الفتاوى١٣/٣٠-٣١.
(٣) إحكام الأحكام ٤/٧٦.
(٤) التمهيد لابن عبد البر ١٧/١٣.
(٥) مصنف عبد الرزاق ١٠/١٥٠، ابن أبي شيبة ١٥/٣٣٢.

وعمله هباء منثور، وتحرم موالاته، وتجب معاداته، ويهدر دمه لردته، وتطلق منه زوجته، ثم إن مات لايغسل، ولايكفن ولايصلى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يجوز حينئذ الترحم عليه، ولا الدعاء له، ولاالاستغفار.

فهلا وضع من يحكم بالكفر على أخيه المسلم كل هذه الاعتبارات نصب عينيه قبل إصدار الحكم.

المبحث الأول
التثبت وعدم التشكيك في إسلام الآخرين

المطلب الأول
التثبت قبل إطلاق الحكم على الآخرين

ومن منهج القرآن في علاج ظاهرة التكفير أمر المؤمنين بالتثبت والتبين قبل إطلاق الحكم على الآخرين، وجاء هذا الأمر في حال الحرب والشدة، قال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَالِكَ كُنتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾ النساء آية : ٩٤.

هذه الآية نزلت في قوم من المسلمين، مروا في سفرهم برجل معه جمل وغنيمة يبيعها، فسلم على القوم وقال: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فحمل عليه أحدهم فقتله، فلما ذكر ذلك للنبي ﷺ شق عليه، ونزلت الآية[1]، أخرج البخاري عَنْ عَطَاءٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ : ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً ﴾ قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ لَهُ، فَلَحِقَهُ الْمُسْلِمُونَ، فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، فَقَتَلُوهُ وَأَخَذُوا غُنَيْمَتَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ تِلْكَ الْغُنَيْمَةُ[2].

(١) تفسير القرطبي ٥/٣٣٦

(٢) صحيح البخاري، كِتَاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، سُورَةُ النِّسَاءِ، بَاب "وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمْ السَّلامَ" برقم (٤٣١٥) (٤/١٦٧٧).

يقول الطبري: يعني جل ثناؤه بقوله: يا أيها الذين آمنوا: يا أيها الذين صدقوا الله وصدقوا رسوله ﷺ فيما جاءهم به من عند ربهم، (إذا ضربتم في سبيل الله) إذا سرتم مسيراً لله في جهاد أعدائكم، ﴿ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ فتأنوا في قتل من أشكل عليكم أمره، فلم تعلموا حقيقة إسلامه ولا كفره، ولاتعجلوا فتقتلوا من التبس عليكم أمره، ولا تقدموا على قتل أحد إلا على قتل من علمتموه يقيناً حرباً لكم ولله ولرسوله[1].

فالله عز وجل أمر بقوله: ﴿ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ بالباء والنون من التبين بمعنى: التأني والنظر والكشف عنه حتى يتضح، وفي قراءة أخرى ﴿ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ بمعنى: التثبت الذي هو خلاف العجلة[2].

فالمتأمل لهذه الآية يظهر له كيف أن الله سبحانه وتعالى أمر بالتأني والنظر وعدم الاستعجال في الحكم على الآخرين، وهم في أشد الأحوال، وهو حال الحرب ومظنة الكذب والخداع، فلا يحكم على الآخرين، ولايتهمون بالكفر ولا يوصفون بما يخرجهم من الملة؛ لأن ذلك يؤدي إلى زيادة الشقاق والفرقة والخصومة بينهم.

قال السعدي: فإذا كان من خرج للجهاد في سبيل الله ومجاهدة أعداء الله، واستعد بأنواع الاستعداد للإيقاع بهم مأموراً بالتبين لمن ألقى إليه السلام، وكانت القرينة قوية في أنه إنما سلم تعوذاً من القتل وخوفاً على نفسه، فإن ذلك يدل على الأمر بالتبين والتثبت في كل الأحوال التي يقع فيها نوع اشتباه، فيتثبت فيها العبد حتى يتضح له الأمر ويتبين الرشد والصواب[3].

فمن ألقى السلام فهو مسلم، ولا يحكم عليه بالكفر بل يحكم عليه

(١) تفسير الطبري ٩/٧٠.
(٢) تفسير الطبري ٩/٧٠.
(٣) السعدي ١٩٤.

بالظاهر، وهذا من الفقه باب عظيم وهو أن الأحكام تناط بالمظان والظواهر لاعلى القطع وإطلاع السرائر[1].

عن أُسَامَةَ بن زَيْدٍ قال: بَعَثَنَا رسول اللَّهِ ﷺ في سَرِيَّةٍ، فَأَدْرَكْتُ رَجُلا فقال: لا إِلَهَ إلا الله، فَطَعَنْتُهُ فَوَقَعَ في نَفْسِي من ذلك، فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فقال رسول اللَّهِ ﷺ: أَقَالَ: لا إِلَهَ إلا الله، وَقَتَلْتَهُ ؟! قال: قلت: يا رَسُولَ اللَّهِ إنما قَالَهَا خَوْفًا من السِّلاحِ، قال: أَفَلا شَقَقْتَ عن قَلْبِهِ حتى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لا ؟! فما زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ، حتى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ[2].

فالتثبت في النقل، والتثبت في السماع، والتثبت في الحكم أمر واجب، فليس بمجرد القول أن فلاناً قال ذلك يحكم عليه بالكفر والردة دون الاستماع لقوله، فهو علاج قرآني عظيم، يشمل كل أحوال الإنسان، قال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَاً بِجَهَالَةٍ ﴾ فلا بد من التثبت والتريث عند سماع الكلام من الآخرين، فالتسرع في الأحكام يؤدي إلى خطر عظيم قال تعالى: ﴿ فَتُصْبِحُواْ عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ سورة الحجرات: ٦

يقول السعدي: إن التثبت في هذه الأمور المشكلة غير الواضحة، يحصل فيه من الفوائد الكثيرة والكف عن شرور عظيمة، فإنه به يعرف دين العبد وعقله ورزانته، بخلاف المستعجل للأمور في بدايتها قبل أن يتبين له حكمها، فإن ذلك يؤدي إلى مالا ينبغي[3]، فالتثبت مطلوب في كل وقت، وخاصة زمن الفتن، وإشاعة الأخبار الكاذبة التي ليس الغرض منها إلازيادة الفتنة واتساع

(١) تفسير القرطبي ٥ / ٣٣٦.

(٢) صحيح مسلم، كِتَاب الايمَانِ، باب "لا تقتله فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله"، برقم (٩٦) (١/١٤٠).

(٣) تفسير السعدي ١٩٤.

رقعة الخلاف بين المسلمين، والله عز وجل يقول : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلا قَلِيلاً ﴾ النساء: ٨٣ أي: إذا سمعوا شيئاً من الأمور فيه أمن نحو ظفر المسلمين وقتل عدوهم أوالخوف وهو ضد هذا أذاعوا به أي أفشوه وأظهروه وتحدثوا به قبل أن يقفوا على حقيقته[1]، فنهاهم الله عن إذاعة أي خبر قبل أن يردوه إلى أولي الأمر منهم، وليس أشد خطراً ولافتنة من التكفير الذي إن وصف به الشخص خرج من ربقة الإسلام، وشملته أحكام أهل الكفر.

(١) تفسير القرطبي ٥/٢٥١.

المطلب الثاني
عدم التشكيك في إسلام الآخرين

ومن منهج القرآن في علاج التكفير: النهي عن التشكيك في إسلام الآخرين، والحكم عليهم بالكفر حتى وهم في حالة الحرب وساحة القتال، قال تعالى: ﴿ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً ﴾ فمن ألقى السلام فهو مسلم، ويجب عليهم الأخذ بقوله، ولا يقولون إن هذا القول من باب التقية فيحاربونه أو يقولون بكفره، بل يلتزمون منهج الله سبحانه وتعالى.

قال البيضاوي: ولا تبادروا إلى قتلهم ظناً بأنهم دخلوا فيه اتقاءً وخوفاً، فإن إبقاء ألف كافر أهون عند الله من قتل امرئ مسلم، وتكريره تأكيد لتعظيم الأمر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم[1]، والسلام: هو التسليم المعهود، والسلم: الانقياد والاستسلام، والسلم: الصلح[2].

يقول الفخر الرازي: ومن قرأ "السلام" بالألف فله معنيان: أحدها: أن يكون المراد السلام الذي يكون هو تحية المسلمين، أي: لا تقولوا لمن حياكم بهذه التحية: إنه إنما قالها تعوذاً، فتقدموا عليه بالسيف لتأخذوا ماله، ولكن كفوا واقبلوا منه ما أظهره، والثاني: أن يكون المعنى: لاتقولوا لمن اعتزلكم ولم يقاتلكم لست مؤمناً، وأصل هذا من السلامة؛ لأن المعتزل طالب للسلامة[3].

وقال الطبري: ولا تقولوا لمن استسلم لكم فلم يقاتلكم مظهراً لكم أنه من أهل ملتكم ودعوتكم لست مؤمناً [4]، وفي الحديث : أَنَّ رَجُلا على عَهْدِ

(١) تفسير البيضاوي ٢ / ٢٣٧.
(٢) تفسير السمعاني ١ / ٤٦٥.
(٣) التفسير الكبير ١١ / ٣.
(٤) تفسير الطبري ٥ / ٢٢١.

النبي ﷺ قد جَلَدَهُ في الشَّرَابِ فأتى بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ فقال رَجُلٌ من الْقَوْمِ : اللهم الْعَنْهُ ما أَكْثَرَ ما يُؤْتَى بِهِ، فقال النبي ﷺ : "لا تَلْعَنُوهُ فَوَاللَّهِ ما عَلِمْتُ إلا أنه يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ"(١)، وفي قصة حاطب بن أبي بلتعة ﷺ أن عمرَ قال : يارسول الله دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ فإنه قد نَافَقَ، فقال ﷺ: "ما يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ على أَهْلِ بَدْرٍ فقال: " اعْمَلُوا ماشِئْتُمْ"(٢)، فلم يرض رسول الله ﷺ أن يشكك في إيمانه وفي محبته لله ولرسوله، وهذا منهج يدل على حسن التعامل مع الأشخاص وعدم تنفيرهم من الدين، أوالحكم عليهم بالكفر بمجرد المخالفة والمعصية، لأن المخالفة والمعصية في أمور لا تمس أركان الدين الإسلامي مع الاعتراف بالتقصير والخطأ لا يقدح في الإيمان، وإنما استحلال الدم المعصوم هو الذي يقدح في إيمان الإنسان المسلم، فأهل التكفير يكفرون كل من ليس على منهجهم حتى وإن كان يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فهم يتبعون أهواءهم ليضلوا الناس بغير علم.

وقد أمر الله سبحانه وتعالى بالحكم بين الناس بما أنزل الله، ونهى عن اتباع الهوى قال تعالى: ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ سورة المائدة: ٤٩، فلا يشكك في إسلام الآخرين ويحكم عليهم بالكفر إلا من ثبت كفره صراحة، فنهى النبي ﷺ عن وصف الآخرين بالكفر أواتهامهم به، عن عبد اللَّهِ بن عُمَرَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: "أَيُّمَا رَجُلٍ قال لاخِيهِ: يا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بها أَحَدُهُمَا"(٣).

(١) صحيح البخاري، كِتَاب الْحُدُودِ، بَاب مَا يُكْرَهُ مِنْ لَعْنِ شَارِبِ الْخَمْرِ، برقم (٦٣٩٨) (٦/٢٤٨٩).
(٢) صحيح البخاري، كِتَاب الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَاب إِذَا اضْطَرَّ الرَّجُلُ إِلَى النَّظَرِ فِي شُعُورِ أَهْلِ الذِّمَّةِ، برقم (٢٩١٥) (٣/١١٢٠).
(٣) سبق تخريجه، راجع ص٦.

المطلب الثالث

التحذير من إرادة الدنيا وترك الآخرة

حذر الله سبحانه وتعالى من العرض الزائل ونهى عنه، فمهما كان هذا العرض فما عند الله خير وأبقى، فلا يفوت الإنسان على نفسه خير الآخرة، ويحمله العرض الفاني ومتاع الدنيا على ارتكاب مالا ينبغي، قال تعالى: ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ﴾ أي: فلايحملنكم العرض الفاني القليل على ارتكاب ما لا ينبغي، فيفوتكم ما عند الله من الثواب الجزيل الباقي، فما عند الله خير وأبقى، والعرض: المال سمي به لسرعة فنائه، وكل متاع الدنيا عرض سواء مال أوجاه أو رئاسة وغير ذلك[1]، وفي هذا إشارة إلى أن العبد ينبغي له إذا رأى دواعي نفسه مائلة إلى حالة له فيها هوى وهي مضرة له، أن يُذَكِّرها ما أعد الله لمن نهى نفسه عن هواها، وقدَّم مرضاة الله على رضا نفسه، فإن في ذلك ترغيبًا للنفس في امتثال أمر الله، وإن شق ذلك عليها، ثم قال تعالى مذكرًا لهم بحالهم الأولى، قبل هدايتهم إلى الإسلام ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: فكما هداكم بعد ضلالكم فكذلك يهدي غيركم، وكما أن الهداية حصلت لكم شيئًا فشيئًا، فكذلك غيركم، فنظر الكامل لحاله الأولى الناقصة، ومعاملته لمن كان – على مثلها بمقتضى مايعرف من حاله الأولى، ودعاؤه له بالحكمة والموعظة الحسنة – من أكبر الأسباب لنفعه وانتفاعه، ولهذا أعاد الأمر بالتبين فقال: ﴿ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ ثم ختم الآية بقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾ فيجازي كُلا بما عمله ونواه، بحسب ماعلمه من أحوال عباده

(١) روح المعاني ٥ / ١١٨.

ونياتهم، فكونوا محتاطين فيما تقصدونه، متوخين أمر الله تعالى، وهذا فيه تحذير فاحفظوا أنفسكم من موارد الزلل[1].

فمن أسباب التكفير: إرادة الدنيا وحب الرئاسة والظهور ولو بظلم الناس وأخذ أموالهم وقطع رقابهم[2]، لذلك حذر الله سبحانه وتعالى من متاع الدنيا الزائل، والاغترار بها، قال تعالى: ﴿ وَفَرِحُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ ﴾ سورة الرعد: ٢٦

وقال سبحانه ﴿ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ سورة لقمان: ٣٣

وفي الحديث أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بن الْجَرَّاحِ إلى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا، فَقَدِمَ أبوعُبَيْدَةَ بِمَالٍ من الْبَحْرَيْنِ فَسَمِعَتْ الانْصَارُ بِقُدُومِهِ، فوافقت صَلاَةَ الصُّبْحِ مع رسول اللَّهِ ﷺ، فلما انْصَرَفَ تَعَرَّضُوا له، فَتَبَسَّمَ رسول اللَّهِ ﷺ حين رَآهُمْ وقال: "أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ بِقُدُومِ أبي عُبَيْدَةَ، وَأَنَّهُ جاء بِشَيْءٍ، قالوا: أَجَلْ يارَسُولَ اللَّهِ، قال: فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مايَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ لاالْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا، كما بُسِطَتْ على من كان قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كما تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كما أَهْلَكَتْهُمْ"[3].

وها هو عثمان رضي الله عنه الذي قتلته الفئة الباغية يحذر من هذه الدنيا فقال في آخر خطبة في جماعة: "إن الله إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الاخرة، ولم يعطكموها لتركنوا إليها، إن الدنيا تفنى وإن الآخرة تبقى، لاتبطرنكم

(١) البحر المحيط ٣ / ٣٤١، السعدي ١٩٤.

(٢) القرطبي ٣ / ٢٣. فتح القدير ١ / ٢١٣ – ٣٢٦.

(٣) صحيح البخاري، كِتَاب الْجِزْيَةِ، باب فرقوا بين كل ذي محرم من المجوس، برقم (٢٩٨٨) (١١٥٢/٣).

الفانية ولا تشغلنكم عن الباقية، وآثروا ما يبقى على ما يفنى، فإن الدنيا منقطعة وإن المصير إلى الله، اتقوا الله فإن تقواه جنة من بأسه، ووسيلة عنده، واحذروا من الله الغيِّر والزموا جماعتكم، لا تصيروا أحزاباً، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُم أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُمْ مِّنْهَا كَذالِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1]، فلا يكون حب الدنيا والاغترار بها والركون إليها، سبباً في تكفير الغير فما عند الله خير وأبقى.

(١) البداية والنهاية ٧ / ٢١٦.

المبحث الثاني
الوصف بالإيمان والتأكيد على الأخوة الإيمانية

المطلب الأول
وصف الطوائف المتحاربة بالإيمان

من منهج القرآن في علاج انحرافات الأفراد أو الجماعات التنبيه على أصل الإيمان، فوصف الله سبحانه الطوائف المتقاتلة بالمؤمنة، وسماهم مؤمنين مع الاقتتال، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُواْ الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُواْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ، إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ سورة الحجرات: ٩-١٠.

وبهذا استدل البخاري وغيره على أنه لا يخرج عن الإيمان بالمعصية وإن عظمت[1]، وفي صحيح البخاري من حديث الحسن عن أبي بكرة ﷺ قال: "إن رسول الله ﷺ خطب يوماً، ومعه على المنبر الحسن بن علي ﷺ، فجعل ينظر إليه مرة وإلى الناس أخرى يقول: "إِنَّ ابْنِي هذا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بين فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ من الْمُسْلِمِينَ"[2]، فكان كما قال ﷺ، أصلح الله تعالى به بين أهل الشام وأهل العراق بعد الحروب الطويلة والواقعات المهولة"

(١) تفسير ابن كثير ٢١٢/٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصلح، بَاب قَوْلِ النبي ﷺ لِلْحَسَنِ بن عَلِيٍّ ﷺ ابْنِي هذا سَيِّدٌ... برقم (٢٥٥٧) (٩٦٢/٢).

فسماهم النبي ﷺ مسلمين.

يقول القرطبي: قال العلماء : لاتخلو الفئتان من المسلمين في اقتتالهما: إما أن يقتتلا على سبيل البغي منهما جميعاً أو لا ، فإن كان الأول فالواجب في ذلك أن يمشي بينهما بما يصلح ذات البين ويثمر المكافة والموادعة، فإن لم يتحاجزا ولم يصطلحا ، وأقامتا على البغي صير إلى مقاتلتهما ، وأما إن كان الثاني، وهو أن تكون إحداهما باغية على الأخرى، فالواجب أن تقاتل فئة البغي إلى أن تكف وتتوب، فإن فعلت أصلح بينها وبين المبغي عليها بالقسط والعدل[1].

فذكر الله عز وجل في الآية الفرقة الباغية التي تقاتل الفئة المحقة المؤمنة، ولم يحكم على الباغية بالكفر لأن الحال لا يخلو من المنازعة والغلبة لعدة أمور منها:

١. تسلط الشيطان عليهم، وتحريشه بينهم قال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ سورة الأعراف: ١٦ ، وفي قول رسول الله ﷺ : "إِنَّ الشَّيْطَانَ قد أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ في جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ في التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ"[2]، وهذا الاقتتال من التحريش بين المؤمنين.

٢. غلبة الهوى والنفس: فالنفس أمارة بالسوء إلا ما رحم ربي، وقد يطغى الإنسان، ولكنه يرجع إلى الحق إذا ذكر بذلك، وذكر بإيمانه.

٣. التعلق بعرض زائل من الدنيا: وذلك أن حب الشيء يعمي ويصم، ويحول بين الإنسان وبين استطلاع الموقف وتبين الحقيقة[3].

(١) تفسير القرطبي ٣١٥/١٦.

(٢) صحيح مسلم، صفة القيامة والجنة والنار، بَاب تَحْرِيشِ الشَّيْطَانِ وَبَعْثِهِ سَرَايَاهُ لِفِتْنَةِ الناس برقم (٢٨١٢) (٢١٦٦/٤).

(٣) التفسير الكبير ١١١/٢٨.

وما نراه اليوم من التكفير بمجرد الاختلاف في أمور ليست من الدين، ينافي منهج القرآن وعلاجه بالتوفيق والإصلاح بين المتحاربين، لأن الخلاف يؤدي إلى التفرقة والتناحر، ويؤدي بالمسلمين إلى التهلكة وضعف القوة.

فالله عز وجل لم ينف الإيمان عن الفئتين بالرغم من أنهما تتحاربان وتتقاتلان، بل ذكر بأنهما مؤمنتين وهذا الإيمان هو الحامل على الإصلاح بينهما، إذ لو كانت أحداهما كافرة لم يكن هناك إصلاح، فلا يكفر المسلمون بعضهم بعضاً والله سبحانه وتعالى وصفهم بالمؤمنين.

المطلب الثاني
الأمر بالإصلاح بين المتنازعين

وهو أول وسائل علاج الاختلاف بين الطائفتين، فأمر الله سبحانه وتعالى بالإصلاح بينهما فقال: ﴿ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴾ تأكيد من الله عليهم أن يسعوا بالصلح بينهم، ويدعوهم إلى حكم الله، فأصلحوا أيها المؤمنون بينهما بالدعاء إلى حكم كتاب الله عز وجل، والرضى بما فيه لهما وعليهما[1].

قال أبوبكر الجصاص: أمر عند ظهور القتال منهم بالإصلاح بينهم، وهو أن يدعو إلى الصلاح والحق وما يوجبه الكتاب والسنة والرجوع عن البغي[2]، فهذا أمر عام بالإصلاح بين المتنازعين دون إبداء الرأي في فرقة دون أخرى، أوالحكم بكفرها واعتدائها، هذا في أول الأمر، ولابد من إرادة الصلح، وإضماره في نفوسهم، حتى يثمر هذا الإصلاح ويأتي بالخير، ثم إذا لم ترجع إحدى هاتين الطائفتين إلى حكم كتاب الله لها وعليها، وتعدت ما جعل الله عدلاً بين خلقه، وأجابت الأخرى منهما فقاتلوا التي تعتدي حتى ترجع إلى أمر الله وحكمه[3].

ويتكرر الأمر بالإصلاح حتى بعد الرجوع عن القتال في قوله عز وجل: ﴿فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُواْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ فطريقة الإصلاح بين المتخاصمين أن تكون بالعدل، وعدم الميل إلى أحدهما دون الأخرى، يقول السعدي: "هذا أمر بالصلح، وبالعدل في الصلح، فإن

(١) زاد المسير ٤٦٣/٧، تفسير البيضاوي ٢١٥/٥، تفسير الطبري ١٢٧/٢٦.
(٢) أحكام القرآن للجصاص ٢٧٩/٥.
(٣) تفسير الطبري ٢٦ / ١٢٨، تفسير أبي السعود ٨ / ١٢٠.

الصلح قد يوجد ولكن لا يكون بالعدل بل بالظلم والحيف على أحد الخصمين، فهذا ليس هو الصلح المأمور به، فيجب أن لايراعى أحدهما لقرابة أو وطن أو غير ذلك من المقاصد والأغراض التي توجب العدول عن العدل"[1].

وقيد الإصلاح بالعدل لأنه مظنة الحيف لوقوعه بعد مقاتله، وقد أكد الله عز وجل ذلك حيث قال سبحانه: ﴿ وَأَقْسِطُواْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ أي: اعدلوا في كل ما تأتون وتذرون[2]، وقال ﷺ: "إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ على مَنَابِرَ من نُورٍ عن يَمِينِ الرحمن عز وجل، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ في حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وما وَلُوا"[3].

ثم يأمر الله سبحانه وتعالى بالإصلاح مرة ثالثة فيقول عز من قائل: ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ لأن الإصلاح خير من الفرقة والشقاق والتناحر بين المسلمين.

وهذا منهج حري بالإنسان أن يتبعه في كل خصومة بين الأفراد والجماعات، فهو منهج حق، الصلح أولاً دون الحكم على الآخرين بالكفر أو البغي أو الاعتداء، حتى وإن ظهر للمصلح ذلك لأن المواجهة مع الآخرين بالألفاظ القادحة قد يجعلهم يصرون على أقوالهم وأفعالهم، أما إذا سعى الإنسان بالصلح بين الأفراد، وأراد الصلح فعلاً فإن ذلك يؤدي إلى التلاحم وعدم الفرقة والشقاق.

(١) تفسير السعدي ١/٨٠٠.
(٢) تفسير البيضاوي ٥ / ٢١٥، تفسير أبي السعود ٨ / ١٢٠، روح المعاني ٢٦ / ١٤٩.
(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، برقم (١٨٢٧) (١٤٥٨/٣).

المطلب الثالث

التأكيد على الأخوة الإيمانية بين المتنازعين

أكد القرآن على الأخوة الإيمانية حتى لا تتسع شقة الخلاف، ويكفر بعضهم بعضاً بل يرشد الله سبحانه وتعالى إلى أن المؤمنين إخوة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ أخوة العقيدة والدين فهي أقوى وأثبت من أخوة النسب، فأخوة النسب تنقطع لمخالفة الدين، وأخوة الدين لاتنقطع بمخالفة النسب[1]، فبمجرد دخول الصحابة ﷺ في الإسلام، انقطعت صلتهم بمن لم يسلم من أهلهم، فأخوة الدين أعظم أخوة، وعليها أكد الدين الإسلامي، وبين أن المؤمنين إخوة، وأمر في حال الفرقة والشقاق أو الخصام، أن يصلح بين الإخوان، فهو يستجيش عاطفة الأخوة بينهم، ويؤكد على هذا الأمر كأنهم إخوة نسب وولادة.

قال السعدي: في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ "هذا عقد عقده الله بين المؤمنين، أنه إذا وجد من أي شخص كان في مشرق الأرض ومغربها الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فإنه أخ للمؤمنين، أخوة توجب أن يحب له المؤمنون ما يحبون لأنفسهم، ويكرهوا له مايكرهون لأنفسهم، ولهذا قال النبي ﷺ آمراً بالأخوة الإيمانية: "لاتَحَاسَدُوا ولاتَنَاجَشُوا ولاتَبَاغَضُوا ولاتَدَابَرُوا ولايَبِعْ بَعْضُكُمْ على بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لايَظْلِمُهُ ولايَخْذُلُهُ ولايَحْقِرُهُ"[2]، وفي الصحيح عن

(١) تفسير القرطبي ١٣ / ٣٢٢.

(٢) صحيح مسلم، الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالادَابِ، بَاب تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ وَخَذْلِهِ وَاحْتِقَارِهِ برقم (٢٥٦٤) (١٩٨٦/٤).

النبي ﷺ: "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ بين أَصَابِعِهِ"[1]، ولقد أمر الله ورسوله ﷺ بالقيام بحقوق المؤمنين بعضهم لبعض، ومما يحصل به التآلف والتواد والتواصل بينهم كل هذا تأييداً لحقوق بعضهم على بعض، فمن ذلك إذا وقع الاقتتال بينهم الموجب لتفرق القلوب وتباغضها وتدابرها، فليصلح المؤمنون بين إخوانهم وليسعوا فيما به يزول شنآنهم"[2].

وفي هاتين الآيتين دليل على أنّ البغي لا يزيل اسم الإيمان؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى سمّاهم إخوة مؤمنين مع كونهم باغين عاصين، يدلّ عليه ما روى الأعور أنّ علي بن أبي طالب سُئل وهو القدوة في قتال أهل البغي عن أهل النهروان: أمشركون هم؟، قال: لا، من الشرك فروا، فقيل: أمنافقون؟ قال: لا، لأن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، قيل: له فما حالهم؟ قال: إخواننا بغوا علينا".

فالرجوع إلى أصل الإيمان وأصل الدين والرابطة الوثيقة بينهم يجعل المسلم يرجع إلى الحق، ويعرف أنهم جميعاً إخوة فلا يتقاتلون، ولا يكفر بعضهم بعضاً.

﴿ وَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ " ختم الله عز وجل الآية بالأمر بالتقوى، يقول تعالى ذكره: وخافوا الله أيها الناس بأداء فرائضه عليكم، في الإصلاح بين المقتتلين من أهل الإيمان بالعدل، وفي غير ذلك من فرائضه واجتناب معاصيه ليرحمكم ربكم فيصفح لكم عن سالف إجرامكم، إذا أنتم أطعتموه واتبعتم أمره ونهيه واتقيتموه بطاعته"[3].

(١) صحيح البخاري، كِتَاب الصَّلاةِ، أَبْوَابُ اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ، شبك النبي ﷺ أصابعه، برقم (٤٦٧)(٢/٨٦٣).

(٢) تفسير السعدي ١/٨٠٠.

(٣) تفسير الطبري ٢٦/١٣٠.

فالتقوى تحمل على التواصل والائتلاف وإصلاح ذات البين، فلا يتسع الخلاف بل يرحمهم الله بتقواهم، وتقوى الله ومخافته تمنع المسلم من القيام بأي عمل يؤذي المسلمين، أو التقول عليهم بالزور والبهتان، "وفيه إشارة إلى ما يصون المسلمين عن التشاجر، لأن من اتقى الله شغله تقواه عن الاشتغال بغيره، ولهذا قال النبي ﷺ: " الْمُسْلِمُ من سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ من لِسَانِهِ وَيَدِهِ "[1]، لأن المسلم يكون منقاداً لأمر الله، مقبلاً على عبادة الله، فيشغله عيبه عن عيوب الناس، ويمنعه أن يرهب الأخ المؤمن"[2].

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، برقم (١٠) (١٣/١).
(٢) التفسير الكبير ١١١/٢٨.

المبحث الثالث

النهي عن الغلو والقول على الله بغير علم

المطلب الأول

النهي عن الغلو والتشدد في الدين

ومن منهج القرآن في علاج ظاهرة التكفير النهي عن الغلو والتشدد في الدين، يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ ولا تقولوا على الله إلا الحق ﴾ سورة النساء: ١٧١.

ويقول عز من قائل ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾ سورة المائدة: ٧٧.

الغلو: مصدر قولهم: غلا في الأمر يغلو غُلُواً، أي: جاوز فيه الحد، وغلا في الدين غُلُواً من باب قعد، تصلب وتشدد حتى جاوز الحد، وغالى في أمره مغالاة بالغ[١].

قال ابن تيمية: والغلو مجاوزة الحد، بأن يزاد الشيء في حمده أوذمه على مايستحق ونحو ذلك[٢].

نهى الله سبحانه أهل الكتاب عن الغلو في الدين من طريقيه: في التوحيد، وفي العمل، فغلوهم في التوحيد نسبتهم له الولد سبحانه، وغلوهم في العمل ما ابتدعوه من الرهبانية في التحليل والتحريم والعبادة والتكليف[٣].

(١) انظر: لسان العرب ١٣٢/١٥، المعجم الوسيط ٦٦٠/٢.
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ١/ ٣٢٨.
(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٢ / ١٤١.

قال ابن القيم: "إن الغلو سبب لتشديد الله على العبد، وعلى الأمة، وأخبر ﷺ أن تشديد العبد على نفسه هو السبب لتشديد الله عليه، إما بالقدر وإما بالشرع، فبالقدر كفعل أهل الوسواس فإنهم شددوا على أنفسهم فشدد عليهم حتى استحكم وصار صفة لازمة لهم، وأما التشديد بالشرع كمن شدد على نفسه بالنذر، فشدد الله عليه فألزمه الوفاء به"(١).

قال ﷺ: "لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ من كان قَبْلَكُمْ، شِبْرًا بشبر، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حتى لو دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ، قُلْنَا: يا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، قال: فَمَنْ ؟؟"(٢).

" والتشدد يقصد به: التضييق على النفس، أوعلى الناس في الأحكام الشرعية، أوالمواقف تجاه الآخرين، أوالتعامل معهم بما لا تقتضيه قواعد الشرع ومقاصد الدين؛ لأن الدين مبني على الأخذ بالأحكام الشرعية، مع مراعاة التيسير ودفع المشقة والأخذ بالرخص في مواطنها، ودرء الحدود بالشبهات، وإحسان الظن بالناس، والإشفاق عليهم، والإحسان إليهم، والنصح لهم، والعفو عنهم، والتماس الأعذار لهم، هذا هو الأصل، والخروج عنه لغير مصلحة راجحة مقدرة عند أهل الفقه في الدين يُعد من التشديد المنهي عنه"(٣).

قال النبي ﷺ : "إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إلا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ من الدُّلْجَةِ"(٤).

وقال ﷺ أيضاً: " مَهْ عَلَيْكُمْ مَاتُطِيقُونَ من الاعْمَالِ فإن اللَّهَ لا يَمَلُّ حتى

(١) إغاثة اللهفان من مكايد الشيطان ١ / ١٢٣.

(٢) صحيح البخاري، كِتَاب الاعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ برقم(٦٨٨٨) (٦/٢٦٦٩).

(٣) قضايا عقدية معاصرة، د. ناصر العقل.

(٤) صحيح البخاري، كِتَاب الايمَانِ، بَاب الدِّينُ يُسْرٌ برقم(٣٩) (١/٢٣).

تَمَلُّوا"[1].

وروي فيه أيضاً أنه ﷺ قال: " إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ وَلا تُبْغِضُوا إِلَى أَنْفُسِكُمْ عِبَادَةَ اللَّهِ فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ[2] لا أَرْضًا قَطَعَ وَلا ظَهْرًا أَبْقَى "[3].

قال أبو عبيد: كما فعلت الخوارج أخرجهم الغلو إلى أن كفروا أهل الذنوب، قال: ويبين لك هذا قول النبي ﷺ فيهم : " يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ"[4] والمروق: هو الغلو بعينه لأن السهم يتجاوز الرمية[5].

فالشدة في الأمور والحكم على الآخرين بالكفر ليس من الدين، فنهى الله سبحانه وتعالى عن التشدد في الدين والمغالاة فيه والزيادة عليه، وما ظهر التكفير ومحاربة بعضهم بعضاً إلا لتشددهم في أخذ الأمور، وجبر الناس عليها ، فهم يكفرون كل من يخالف منهجهم.

(١) صحيح البخاري، كتاب التَّهَجُّد ، باب ما هذا الحبل قالوا هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت، برقم (١١٠٠) (٣٨٦/١).

(٢) الْمُنْبَتُّ: أي الذي عطب مركوبه من شدة السير، مأخوذ من البت وهو: القطع أي: صار منقطعاً لم يصل إلى مقصوده، وفقد مركوبه الذي كان يوصله لو رفق به، وقوله (فَأَوْغِلُوا) من الوغول وهو الدخول في الشيء. فتح الباري ٢٩٧/١١.

(٣) أخرجه البزار عن جابر ﷺ ولكن صوَّب إرساله، وله شاهد في الزهد لابن المبارك. انظر فتح الباري ٢٩٧/١١.

(٤) صحيح مسلم، كِتَاب الزَّكَاةِ، باب "سيكون بعدي من أمتي قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم" برقم (١٧٧٦).

(٥) معاني القرآن للنحاس ٣٤٥/٢.

المطلب الثاني

النهي عن القول على الله بغير علم

إن الحكم على الآخرين والتسرع في إطلاق الأحكام، هو قول على الله بلا علم، لأنهم يتركون ما أنزل الله على رسوله من الحق المبين، ويتبعون أقوال أهل البدع والضلال، وقد حرم الله سبحانه وتعالى القول عليه بلا علم، وجعله من أعظم المحرمات، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ سورة الأعراف: ٣٣.

يقول ابن القيم: حرم الله سبحانه القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء، وجعله من أعظم المحرمات، بل جعله في المرتبة العليا منها، فرتب المحرمات أربع مراتب: وبدأ بأسهلها وهو الفواحش، ثم ثنّى بما هو أشد تحريماً منه وهو الإثم والظلم، ثم ثلّث بماهو أعظم تحريماً منها وهو الشرك به سبحانه، ثم ربّع ما هو أشد تحريماً من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم، وهذا يعم القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي دينه وشرعه.

ومما يدل أيضا على أنه من كبائر الإثم قول الله تعالى: ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَيُفْلِحُونَ، مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ سورة النحل: ١١٦–١١٧.

"فتقدم إليهم سبحانه بالوعيد على الكذب عليه في أحكامه، وقولهم لما لم يحرمه: هذا حرام، ولما لم يحله: هذا حلال، وهذا بيان منه سبحانه أنه لا يجوز للعبد أن يقول هذا حلال وهذا حرام إلا بما علم أن الله سبحانه وتعالى

أحله وحرمه"[1].

وقال تعالى ﴿: وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴾ سورة الحج: ٣.

قال السعدي: " أي ومن الناس طائفة وفرقة سلكوا طريق الضلال، وجعلوا يجادلون بالباطل الحق يريدون إحقاق الباطل، وإبطال الحق، والحال أنهم في غاية الجهل، ما عندهم من العلم شيء، وغاية الجهل ما عندهم من العلم شيء، وغاية ما عندهم تقليد أئمة الضلال من كل شيطان مريد متمرد على الله وعلى رسله، معاند لهم، قد شاق الله ورسوله ﷺ، وصار من الأئمة الذين يدعون إلى النار، فهذا الذي يجادل في الله، قد جمع بين ضلاله بنفسه، وتصديه إلى إضلال الناس، وهو متبع ومقلد لكل شيطان مريد، ظلمات بعضها فوق بعض، ويدخل في هذا جمهور أهل الكفر والبدع، فإن أكثرهم مقلدة يجادلون بغير علم"[2].

وقال الشوكاني: " يدخل في ذلك كل مجادل في ذات الله، أو صفاته، أو شرائعه الواضحة بغير علم ولا هدى، ولا كتاب منير ليضل عن سبيل الله"[3].

وقال الشنقيطي في أضواء البيان: "يدخل فيما تضمنته الآية من الوعيد والذم أهل البدع والضلال، المعرضين عن الحق المتبعين للباطل، يتركون ما أنزل الله على رسوله من الحق المبين، ويتبعون أقوال رؤساء الضلالة، الدعاة إلى البدع والأهواء والآراء بقدر ما فعلوا من ذلك، لأن العبرة بعموم الألفاظ لابخصوص الأسباب"[4].

(١) إعلام الموقعين ١/٣٨.
(٢) تفسير السعدي ١ / ٥٣٣.
(٣) فتح القدير ٣/٤٣٩.
(٤) أضواء البيان ٤/٢٦٢.

يقول ابن تيمية: "أكثر أهل الأهواء يبتدعون رأياً ويكفرون من خالفهم فيه، وأهل السنة يتبعون الحق من ربهم الذي جاء به الرسول ﷺ، ولا يكفرون من خالفهم بل هم أعلم بالحق وأرحم بالخلق"[1].

فاتهام الآخرين بالكفر والخروج من الدين، هو قول على الله بغير علم، لأنهم لو يعلمون حقيقة ماأنزل الله ما كفَّروا غيرهم، والله عز وجل يقول ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ سورة الإسراء: ٣٦ وهذا الأمر ليس لهم به علم بل هم يتبعون أهواءهم، ويفتون بآرائهم ويقدمونها على قول الله ﷻ وقول رسوله ﷺ.

(١) منهاج السنة ٥ / ١٥٨.

المبحث الرابع

الدعوة إلى طلب العلم الصحيح وحسن التعامل مع الآخرين

المطلب الأول

الدعوة إلى طلب العلم الصحيح

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ سورة يوسف: ١٠٨.

إن الذي يتصدى للدعوة إلى الله يجب عليه أن يؤهل نفسه بالعلم والفقه في الدين، "فإن العلم الشرعي المؤسس على الكتاب والسنة، هو الذي يهذب النفوس، ويطهر القلوب، ويقيد صاحبه عن العنف والإجرام، ويمنعه من الظلم والعدوان، ويحمله على تعظيم حقوق العباد وحفظ مصالحهم، ويحجزه عن الإقدام على هتك الحرمات، وارتكاب المظالم والموبقات، وهو يمنع من العنف ابتداءً، وهو أيضًا من أعظم الأسباب المعينة على علاج هذه الظاهرة الخطيرة، وحمل من تلبس بشيء منها على التوبة والإنابة، وعدم التكرار والمعاودة"[1].

وقد ذم الله الجهل وحث على العلم، وبين منزلة العلماء عنده، قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا۟ الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ سورة المجادلة: ١١.

وقال عز من قائل: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ

(١) محاضرات في المواجهة. الفوزان: ضرورة التسلح بالعلم الشرعي لمواجهة الإرهاب.

يَحْذَرُونَ ﴾ سورة التوبة: ١٢٢.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ سورة آل عمران: ١٨.

وما ظهر التكفير ومخالفة ما عليه جمهور علماء الأمة من ثوابت هي من الكتاب والسنة إلا بسبب الجهل بالعلم الشرعي، وعدم طلبه بمنهجية علمية صحيحة، وبسبب الجهل يحصل الخطأ، وتفهم النصوص على غير مرادها الصحيح.

" لما علم الصحابة ﷺ خطورة الجهل على مستوى الفرد وعلى الجماعة، حرصوا على تعليم الناس أمور دينهم وعلى تلقين أبنائهم أصول الاعتقاد، وتوصيتهم بالتمسك بالسنة، وكان عبدالله بن مسعود ﷺ يوصي الناس بتعلم العلم، فيقول: عليك بالعلم قبل أن يقبض، وقبضه أن يذهب أهله أوقال أصحابه[1]، إذ الجهل خطر عظيم يقود الناس إلى البدعة، والإحداث في الدين، والسير على غير هدى، وخير مثال على ذلك ما حدث وعبدالله بن مسعود ﷺ حاضر، وذلك أن أناساً من أهل الكوفة خرجوا إلى الجبانة يتعبدون، واتخذوا مسجداً وبنوا بنياناً، فأتاهم عبدالله بن مسعود ﷺ فقالوا: مرحباً بك يا أبا عبدالرحمن، لقد سرنا أن تزورنا، قال: ما أتيتكم زائراً، ولست بالذي أترك حتى يهدم مسجد الجبان، إنكم لأهدى من أصحاب رسول الله ﷺ ؟! أريتم لو أن الناس صنعوا كما صنعتم من كان يجاهد العدو، ومن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ومن كان يقيم الحدود، ارجعوا فتعلموا ممن هو أعلم منكم، وعلموا من أنتم أعلم منهم، قال: واسترجع، فما برح حتى قلع أبنيتهم وردهم"[2][1].

(١) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١ / ٨٧.
(٢) شرح السنة للبغوي ١٠ / ٥٤.

فالجهل بدين الله من أعظم الأسباب الحاملة لأهل التكفير على تكفير المسلمين بغير دليل ولابرهان شرعي، فإنه لا يقدم على هذا إلا جاهل، وذلك لكثرة النصوص المحذرة من تكفير المسلمين وما تضمنته من الوعيد الشديد، والزجر العظيم عن تكفير من لم يكن مستحقاً للتكفير، بحيث لا تخفى هذه النصوص إلا على جاهل مغرق في الجهل[٢].

(١) موقف الصحابة من الفرقة والفرق لأسماء السويلم ص١٨٨.

(٢) من كتاب التكفير وضوابطه للشيخ إبراهيم بن عامر الرحيلي، ص٤٥-٤٩.

المطلب الثاني

اللين والرفق في الخطاب مع المخالف

قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾ سورة آل عمران: ١٥٩.

يقول تعالى مخاطباً رسوله ممتناً عليه وعلى المؤمنين، فيما ألان به قلبه على أمته المتبعين لأمره التاركين لزجره، وأطاب له ملفظه ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ أي: بأي شيء جعلك الله لهم ليناً لولا رحمة الله بك وبهم، وقال الحسن البصري: هذا خلق محمد ﷺ بعثه الله به، ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ لاوالفظ: الغليظ المراد به هاهنا: غليظ الكلام، أي لو كنت سيئ الكلام قاسي القلب عليهم، لا نفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك، وألان جانبك لهم تأليفاً لقلوبهم"[(١)].

فاللين والرفق في الخطاب مع الآخرين مطلوب شرعاً، والرفق ما كان في شيء إلا زانه، عن عَائِشَةَ – رضي الله عنها – أَنَّ النبي ﷺ قال : "ما كان الرِّفْقُ في شيء قَطُّ إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ عُزِلَ عن شيء إِلاَّ شَانَهُ" [(٢)].

وهاهو إبراهيم – عليه السلام – يخاطب أباه آزر وهو على الكفر، ولكنه لم يناده بلفظ الكفر بل ناداه باللين ورفق معه في الخطاب، ناداه: " يا أبت " ناداه بلفظ الأبوة، واستجاش محبته وعطفه بها.

قال تعالى : ﴿ ياأَبَتِ إِنِي قَدْ جَآءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فاتبعني أَهْدِكَ

(١) تفسير ابن كثير ٤٢٢/١.

(٢) مسند أحمد، بَاقِي مُسْنَدِ الأنْصَارِ، ما كان الرفق في شيء قط إلا زانه برقم (٢٥١٨١).

صِرَاطاً سَوِيّاً ، ياأَبَتِ لاَتَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ للرحمن عَصِيّاً ، ياأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَانِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً ، قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلهتي ياإِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً ، قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً ﴾ سورة مريم: ٤٣ – ٤٧.

واللين والرفق في الخطاب منهج الأنبياء، وسنن المرسلين – عليهم السلام– قال القرطبي: "فينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس ليناً، ووجهه منبسطاً طلقاً مع البر والفاجر والسني والمبتدع، من غير مداهنة، ومن غير أن يتكلم معه بكلام يظن أنه يرضى مذهبه، لأن الله تعالى قال لموسى وهارون – عليهما السلام– : ﴿ فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ سورة طه: ٤٤، فالقائل ليس بأفضل من موسى وهارون – عليهما السلام– والفاجر ليس بأخبث من فرعون، وقد أمرهما الله تعالى باللين معه"[1].

(١) تفسير القرطبي ١٦/٢.

المطلب الثالث

أسلوب الحوار والإقناع بالحجة

يجب على المتبع للحق، أن يسلك الأسلوب الجيد في حواره مع الآخرين، يقول الله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ سورة النحل: ١٢٥.

قال المفسرون: اعلم أنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن يدعو الناس بأحد هذه الطرق الثلاث: وهي الحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالطريق الأحسن، وقد ذكر الله تعالى هذا الجدل في آية أخرى، فقال: ﴿ وَلاَ تُجَادِلُواْ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ سورة العنكبوت: ٤٦، ولما ذكر الله تعالى هذه الطرق الثلاثة، وعطف بعضها على بعض، وجب أن تكون طرقاً متغايرة متباينة[1].

كذلك يجب على المسلم أن ينتبه إلى شيئين مهمين جداً هما:

- لقد أمر الله في كتابه بالحكمة، والموعظة الحسنة، وبالجدال بالتي هي أحسن: وليس في واحدة من هذه الثلاثة الشدة والغلظة، بل كلها تدل على اللين والرفق والمداراة والرحمة.
- هذا يقتضي أن الناس ثلاثة أصناف:
  - العلماء العقلاء الذين تكون دعوتهم بالحكمة والعلم والحوار الهادئ وتبليغ الحجة.
  - الصنف الثاني: أصحاب القلوب الطيبة المتذكرة، الذين أبعدهم

(١) التفسير الكبير ٢٠/١١٠.

الجهل أو الغفلة عن طريق الله، فهؤلاء يتم دعوتهم بالموعظة الحسنة التي هي التذكير بالترغيب والترهيب، والوعظ، والقصص.

- الصنف الثالث: هو من عنده شبهة ونوع علم أوجهل مركب، فهؤلاء يتم دعوتهم بالمجادلة بالتي هي أحسن، بنقض قواعدهم، وبيان عوار مذهبهم، وقرع الحجة بالحجة.

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ سورة البقرة: ٨٣.

وقال عز من قائل: ﴿ وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّواْ اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ سورة الأنعام: ١٠٨.

ينهى الله المؤمنين عن سب آلهة المشركين التي اتخذت أوثاناً وآلهة مع الله التي يتقرب إلى الله بإهانتها وسبها، ولكن لما كان هذا السب طريقاً إلى سب المشركين لرب العالمين الذي يجب تنزيه جنابه العظيم عن كل عيب وآفة وسب وقدح، نهى الله عن سب آلهة المشركين، وفي هذه الآية الكريمة دليل للقاعدة الشرعية: وهي أن الوسائل تعتبر بالأمور التي توصل إليها، وأن وسائل المحرم ولو كانت جائزة تكون محرمة إذا كانت تفضي إلى الشر[1].

فحتى لا يتجرؤوا على الله وعلى حدوده، فيجب أن يكون الحوار معهم هادئاً فلا يشتمون ويكفرون ولا تستثار لديهم دوافع الخصومة، وحب الجدال، بل يستميل قلوبهم، نهى الله تعالى عن هذا العمل لأنك متى شتمت آلهتهم غضبوا، فربما ذكروا الله تعالى بما لا ينبغي من القول، فلأجل الاحتراز عن هذا المحذور، وجب الاحتراز عن ذلك المقال، وبالجملة فهو تنبيه على أن خصمك إذا شافهك بجهل وسفاهة لم يجز لك أن تقدم على مشافهته

(١) تفسير السعدي ١ / ٢٦٩.

بما يجري مجرى كلامه فإن ذلك يوجب فتح باب المشاتمة والسفاهة وذلك لا يليق بالعقلاء[1].

ومن آداب الحوار عدم التجادل مع الخصم الذي لا يريد إحقاق الحق، ويصر على رأيه، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ اللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لاَ نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ سورة القصص: ٥٥.

ومن هذا الباب جاء الرد القرآني الكريم على أمثال هؤلاء، في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ﴾ سورة سبأ: ٢٤.

وذلك لأن أحد المتناظرين إذا قال للآخر: هذا الذي تقوله خطأ وأنت فيه مخطىء، يغضبه، وعند الغضب لا يبقى سداد الفكر، وعند اختلاله لا مطمع في الفهم، فيفوت الغرض، وأما إذا قال له بأن أحدنا لا يشك في أنه مخطىء، والتمادي في الباطل قبيح، والرجوع إلى الحق أحسن الأخلاق، فنجتهد ونبصر أينا على الخطأ ليحترز، فإنه يجتهد ذلك الخصم في النظر ويترك التعصب، وذلك لايوجب نقصاً في المنزلة لأنه أوهم بأنه في قوله شاك ويدل عليه قول الله لنبيه ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ ﴾ مع أنه لا يشك في أنه هو الهادي وهو المهتدي وهم الضالون والمضلون[2].

(١) التفسير الكبير ١٣ / ١١٤.
(٢) التفسير الكبير ٢٥ / ٢٢٢.

المبحث الخامس

الأمر بالاعتصام بالله وطاعة أولي الأمر

المطلب الأول

الأمر بالاعتصام بالله وعدم التفرق

من الطرق التي سلكها القرآن لعلاج ظاهرة التكفير أنه أمر بالاعتصام بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وحذر من الفرقة والخلاف في ذلك، قال تعالى: ﴿ واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاتَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنْ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ سورة آل عمران: ١٠٣.

قال الطبري: " أي: تعلقوا بأسباب الله جميعاً، وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عهده إليكم في كتابه إليكم، من الألفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر الله"(١)، وعقب الله سبحانه وتعالى بعد الأمر بالجماعة بالنهي عن الفرقة فقال: " وَلاتَفَرَّقُوا " عن دين الله وعهده الذي عهد إليكم في كتابه، من الائتلاف والاجتماع على طاعته وطاعة رسوله ﷺ، والانتهاء إلى أمره"(٢).

فاجتماع الكلمة وعدم الفرقة مما رضيه الله سبحانه وتعالى لنا ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إِنَّ اللَّهَ

(١) تفسير الطبري ٤/٢١.
(٢) المرجع السابق.

يَرْضَى لَكُمْ ثَلاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ ولا تشركوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةِ الْمَالِ"[1].

ولأهمية اتباع منهج الله وعدم التفرق جاء الأمر به في نفس الآية، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الأنعام: ١٥٣.

قال الطبري: " (صِرَاطِه): طريقه ودينه الذي ارتضاه لعباده، (مُسْتَقِيمًا): قويماً لا اعوجاج به عن الحق، (فَاتَّبِعُوهُ): فاعملوا به، واجعلوه لأنفسكم منهاجا تسلكون فاتبعوه، (وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ) : ولاتسلكوا طريقا سواه، ولا تركبوا منهجاً غيره، ولا تبغوا دينا خلافه، من اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الأوثان، وغير ذلك من الملل، فإنها بدع وضلالات، (فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ): فيشتت بكم – إن اتبعتم السبل المحدثة التي ليست لله بسبيل ولا طرق ولا أديان – اتباعكم إياها (عَنْ سَبِيلِهِ): عن طريقه ودينه الذي شرعه لكم وارتضاه، وهو الإسلام الذي وصى به الأنبياء، وأمر به الأمم قبلكم "[2].

"فالله عز وجل يأمر بالألفة وينهى عن الفرقة، فإن الفرقة هلكة، والجماعة نجاة"[3].

قال تعالى: ﴿ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ سورة الأنفال: ٤٦.

فمن أكبر أسباب الضعف والانهزام: التفرق والاختلاف وعدم اجتماع الكلمة ووحدة الصف، فالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ والاعتصام

(١) صحيح مسلم، كتاب الأقضية، بَاب النَّهْيِ عَنْ كَثْرَةِ الْمَسَائِلِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ، برقم (١٧١٥) (٣/١٣٤٠).

(٢) تفسير الطبري ١٢/٢٢٩.

(٣) تفسير القرطبي ٤/ ١٠٢.

بهما، من أسباب وحدة المسلمين، ووقوفهم صامدين أمام أعدائهم من الكفار وأهل البدع والضلال، وما ظهور التكفير وافتراق الأمة إلا بسبب البعد عن منهج الله، والتصرف الممقوت الذي لا يؤدي إلى نتيجة، فحري بمن كان له عقل أو ألقى السمع وهو شهيد، أن يرجع إلى هذا الكتاب العظيم، والحصن الحصين فيتمسك به ويبتعد عن كل الفتن والأهواء والضلالات؛ فإنها لاتؤدي إلا إلى خسارة الدنيا والآخرة نسأل الله أن نكون هداة مهتدين، ونعوذ به سبحانه أن نكون ضالين أو مضلين.

المطلب الثاني
الأمر بطاعة أولي الأمر

من أسباب الفرقة والتناحر واتهام الآخرين في نياتهم من التكفير والتفسيق دون برهان بينٍ: عدم طاعة أولي الأمر، فعدم طاعتهم تؤدي إلى الإخلال بالأمن، وشيوع الجهل والفساد في المجتمع: فساد الدنيا والدين، لذلك أمر الله سبحانه وتعالى بطاعتهم وعدم الخروج عليهم صيانة للمجتمع من داء التكفير وغيره من الأدواء والشرور، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الامْرِ مِنْكُمْ ﴾ سورة النساء: ٥٩ يقول السعدي في تفسيره: "أولي الأمر: هم الولاة على الناس من الأمراء والحكام والمفتين، فإنه لايستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم طاعة لله، ورغبة فيما عنده"(١)، وبهذا جاءت الوصية في السنة النبوية، يقول عبادة بن الصامت ﷺ: " بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَعَلَى أَنْ لا نُنَازِعَ الامْرَ أَهْلَهُ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا لا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لائِمٍ"(٢)، قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله– : " يكون الأمر أشد خطراً إذا نسب التكفير إلى ولاة الأمور وولاة الأمور هم العلماء والأمراء، لأن العلماء يتولون أمور المسلمين في بيان الشريعة والدعوة إليها، والأمراء يتولون أمور المسلمين في تنفيذ الشريعة وإلزام الناس بها، وتكفير ولاة الأمور يتضمن مفسدتين

(١) السعدي ١/١٨٣.

(٢) صحيح مسلم، كِتَاب الامَارَة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية برقم (١٧٠٩) (٣/ ١٤٧١).

عظيمتين: مفسدة شرعية ومفسدة اجتماعية. أما المفسدة الشرعية فهي أن العلماء الذين أطلق عليهم الكفر لن ينتفع الناس بعلمهم، وعلى الأقل أن يحصل الشك أو التشكيك في أمورهم، وحينئذ يكون هذا الرجل الذي كفر العلماء هادماً للشريعة الإسلامية، لأن الشريعة الإسلامية تتلقى من العلماء، ولأن العلماء هم ورثة الأنبياء والأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً: إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر، أما تكفير الأمراء ففيه مفسدة اجتماعية عظيمة: وهي الفوضى والحروب الأهلية التي لا يعلم متى نهايتها إلا الله عز وجل، ولذلك يجب الحذر من مثل هذا[1]"، فلا بد من طاعة أولي الأمر والرجوع إليهم، فهم أهل الحل والربط، ولا يفتي أو يتصرف كل إنسان بهواه أو بما يراه هو الأصلح، ويفارق الجماعة، فإن ذلك يؤدي إلى نتائج وخيمة، وفساد واضطراب في المجتمع قال ﷺ: " مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنْ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً "[2]،وقال ﷺ: "مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لا حُجَّةَ لَهُ وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً"[3] قال ابن تيمية: "فطاعة الله ورسوله واجبة على كل أحد، وطاعة ولاة الأمور واجبة لأمر الله بطاعتهم"[4].

(١) راجع: صلة الغلو في التكفير بالجريمة، عبدالسلام عبدالله السليمان، مجلة البحوث الأمنية كلية الملك فهد الأمنية.

(٢) صحيح البخاري، كِتَاب الْفِتَنِ، باب "إنكم سترون بعدي أثرة وأموراً تنكرونها" برقم (٦٦٤٥).

(٣) صحيح مسلم، كِتَاب الامَارَةِ، باب من قتل تحت راية عمية يدعو عصبية أو ينصر عصبية فقتلة جاهلية برقم(١٨٥١).

(٤) الفتاوى ٣٥ / ١٦ – ١٧.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم النبيين، وإمام المتقين، وعلى آله وصحبه أجمعين...

أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث :

١. إن معنى التكفير: هو الحكم على الشخص بالخروج من الملة والدين.
٢. أن التكفير – عند أهل السُّنَّة والجماعة – حُكْمٌ شرعيٌّ يَستمِدُّ قُوّتَهُ ونفوذَه من مرجعيةِ الشريعةِ الإسلاميةِ، فهو حقٌّ لله تعالى وحده، وليس للعباد حقٌّ فيه.
٣. خطورة التكفير لما يتبعه من ردة المحكوم عليه، وخروجه من الدين، ووجوب قتله وتحريم من تحته، والمنع من الدعاء له، والصلاة عليه... الخ.
٤. إنَّ أهلَ السُّنَّة والجماعةِ لا يكفِّرون أحداً من أهلَ القِبلة بمُطلق المعاصي والذنوبِ كما هو صنيعُ الخوارج.
٥. التثبت قبل إطلاق الحكم على الآخرين، وهذا منهج قرآني فريد، فيه فوائد كثيرة، ويكف عن شرور عظيمة.
٦. عدم التشكيك في إسلام الغير، وإطلاق الأحكام عليهم، فليس ذلك من الدين في شيء.
٧. إن الأحكام تناط بالمظان والظواهر، لا على القطع وإطلاع السرائر.
٨. النهي عن الركون إلى الدنيا وحب السلطة والسيادة، لأن ما عند الله خير وأبقى.
٩. التنبيه على أصل الإيمان، ووصف الطوائف المتحاربة به والتذكير بذلك، فلا يكفر بعضهم بعضاً والله سبحانه وتعالى وصفهم بالمؤمنين.
١٠. الأمر بتقوى وطاعته، ومن تقوى الله تعالى في إخواننا المؤمنين؛ أن نؤلف

بينهم؛ فنتقي الله في تركهم على هذه العداوات والمقاطعات .

١١. وجوب الإصلاح بين المتخاصمين بالعدل والقسط وعدم الميل إلى فرقة دون أخرى.

١٢. التأكيد على الأخوة الإيمانية، واستجاشة العاطفة بالأخوة، فالمؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء.

١٣. النهي عن الغلو والتشدد في الدين، وتكفير الآخرين دون وجه حق.

١٤. النهي عن الحكم عن الآخرين بالكفر لأنه قول عن الله بغير علم.

١٥. الدعوة إلى العلم الصحيح المأخوذ من الكتاب والسنة، والتأكيد عليه.

١٦. استخدام الأساليب الدعوية المختلفة : كالرفق واللين في الخطاب، والمقارعة بالحجة، والمجادلة بالتي هي أحسن، حتى يرجع المخالف عن غيه، ويتبع سبيل الرشاد.

١٧. الاعتصام بالله واتباع منهجه، والابتعاد عن الفرقة والاختلاف.

١٨. الأمر بطاعة أولي الأمر، وعدم الخروج عليهم.

فيجب على الأمة المسلمة أن تجعل كتاب ربها مصدر تشريعاتها، ومنبع نظمها وقوانينها، ورابطة التعامل فيما بينها، لأنه الوحي النازل من الله العليم بحقيقة ما يصلح الإنسان وما يفسده، ومايضره وما ينفعه، وما يجلب له السعادة ويدفع عنه الشقاوة، فحري بالأمة أن تتمسك به، وأن تعض عليه بالنواجذ، مهما تغيرت الأحوال وتقلبت الأمور، وتآمر عليها الأعداء، إذ هو حبل الله المتين ومنهجه القويم ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُم أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُمْ مِّنْهَا كَذَالِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ سورة آل عمران : ١٠٣.

فهرس المصادر والمراجع

- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة السنة، ط١، ١٤١٤ هـ.
- أحكام القرآن. أبو بكر محمد بن عبدالله بن العربي، تحقيق علي البجاوي. دار المعرفة – بيروت.
- أحكام القرآن، أبوبكر الرازي الجصاص، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- الإحكام في أصول الأحكام، تأليف: علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، دار الحديث –القاهرة، ط١، ١٤٠٤ هـ.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. أبو السعود محمد العمادي. دار إحياء التراث العربي.
- الإرشاد إلى معرفة الأحكام. عبد الرحمن السعدي. دار العلم. السعودية. ١٩٩٨ م..
- أسباب النزول. أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، دار القبلة – جدة، ط٢، ١٤٠٤هـ.
- أضواء البيان. محمد الأمين بن محمد بن المختار الشنقيطي. دار الفكر للطباعة والنشر. – بيروت، ١٤١٥ هـ.
- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن القيم. دار المعرفة – بيروت، ط٢، ١٣٩٥ ه – ١٩٧٥ م.
- اقتضاء الصراط المستقيم. شيخ الإسلام ابن تيمية. مطبعة السنة المحمدية – القاهرة، ط٢، ١٣٦٩م.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. أبو إسحاق إبراهيم الفيروز آبادي. المكتبة العلمية.
- البيان في غريب إعراب القرآن، أبو البركات بن الأنباري، تحقيق: طه عبدالحميد، الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٨٠م.

- تفسير البحر المحيط. أبو حيان الأندلسي. دار الفكر. ط٢، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م.
- تفسير البيضاوي. ناصر الدين أبو سعيد عبدالله البيضاوي. مؤسسة شعبان للنشر – بيروت.
- تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل). علاء الدين علي الخازن، دار الفكر – بيروت، ١٣٩٩ هـ.
- تفسير القرآن العظيم، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، دار المعرفة – بيروت ١٤٠٢ هـ.
- تفسير القرآن. أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، دار الوطن – الرياض، ١٤١٨هـ.
- التفسير القيم للإمام ابن القيم، حققه محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٧٨ م.
- التفسير الكبير. الإمام الفخر الرازي، دار الكتب العلمية – طهران، ط٢.
- تفسير النسفي. أبو البركات عبدالله بن أحمد النسفي. دار الكتاب العربي – بيروت.
- التكفير وضوابطه للشيخ إبراهيم بن عامر الرحيلي. دار الامام البخاري، قطر، ط١، ١٤٢٦هـ.
- التمهيد لما في الموطأ من أسانيد، ابن عبدالبر، وزارة الأوقاف– المغرب، ١٣٨٧هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤٢٠هـ.
- جامع البيان في تفسير القرآن. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري. دار المعرفة – بيروت، ١٤٠٣هـ.
- الجامع لأحكام القرآن. أبو عبدالله محمد الأنصاري القرطبي. دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٠٥هـ.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم. شهاب الدين محمود الألوسي. دار إحياء التراث العربي.

- زاد المسير في علم التفسير، أبوالفرج الجوزي القرشي البغدادي المكتب الإسلامي– بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. اسماعيل حماد الجوهري. بيروت: دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م.
- صحيح البخاري. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري. دار ابن كثير. ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- صحيح مسلم. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط ٢، ١٩٧٨م.
- صلة الغلو في التكفير بالجريمة، عبدالسلام بن عبدالله السليمان، رسالة الماجستير مقدمة إلى كلية الدراسات العليا في جامعة نايف للعلوم الأمنية، قام بمناقشتها سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ مفتي عام المملكة العربية السعودية، وفضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان في ١٤٢٤/٨/٢٦هـ، وهذه الدراسة تقع في ٣٧٧ صفحة.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٤، ١٤٠٨هـ.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني، المكتبة العصرية–بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- كتاب قضايا عقدية معاصرة. أ.د.ناصر بن عبد الكريم العقل، ط دار الفضيلة.
- لسان العرب. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي. دار صادر – بيروت، ط١، ١٣٧٤ هـ.
- مجموع الفتاوى لابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ.
- محاضرات في المواجهة، ضرورة التسلح بالعلم الشرعي لمواجهة الإرهاب. د.صالح الفوزان.
- مختار الصحاح. محمد بن أبي بكر الرازي. ترتيب محمود خاطر مؤسسة الرسالة– بيروت، ١٤٠٧هـ.

- المسند، أبوعبدالله أحمد بن محمد بن حنبل، دار المعارف – مصر، ط٤، ١٣٧٣هـ.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٢٢هـ.
- المصنف، أبو بكر ابن أبي شيبة، الدار السلفية – الهند، ط٢، ١٣٩٩هـ.
- المصنف، عبدالرزاق الصنعاني، المكتب الإسلامي – بيروت، ط١، ١٣٩٠هـ.
- معاني القرآن الكريم. النحاس. جامعة أم القرى – مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٩هـ.
- معاني القرآن. أبو زكريا يحيى الفراء. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ط٣، ١٩٨٠ م.
- معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية. د. محمود عبدالرحمن عبدالمنعم، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي. مكتبة بريل– ليدن، هولندا.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. محمد عبد الباقي. دار المعرفة – بيروت، ط٤، ١٤١٤هـ.
- المعجم الوسيط، إصدار مجمع اللغة العربية، بالقاهرة، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
- المفردات في غريب القرآن. أبو القاسم الحسين الراغب الأصفهاني. دار القلم بدمشق، ١٤١٢هـ.
- منهاج السنة النبوية، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٠٦هـ.
- النهاية في غريب الحديث والأثر. ابن الأثير، دار الفكر، ط٢، ١٣٩٩هـ.